ديوانية الشيخ محمد أشكاني

مقدّمة

الدّروس الحوزويّة

و

الدّورات

للمرحلة الثّانويّة والجامعيّة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

موقع ديوانيّة الشّيخ محمّد أشكنانيّ :

www.alashkanani.com

عنوان المراسلة :

محمّد حسين أشكنانيّ

بيان – ص . ب ٦٦٦٩١

دولة الكويت 43757

Mohammad H. Ashkanani

P.O.BOX 66691 – BAYAN

STATE OF KUWAIT 43757

البريد الإلكترونيّ للشّيخ :

mohashk14@hotmail.com

البريد الإلكترونيّ للدّيوانيّة ولجانها :

mail@alashkanani.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ

عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ

سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلاً وَعَيْنًا

حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكافي – الشّيخ الكلينيّ ج ٢ ص ١٠٣ ح ١

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا بني عبد المطّلب ! إنّكم لن تَسَعُوا النّاس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحُسْنِ البِشْرِ .

البِشْر : طلاقة الوجه وبشاشته ، وهو ضدّ العبوس .

الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٠٣

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : ثلاثٌ من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة : الإنفاق من إقتار ،

والبِشْرُ لجميع العالم ، والإنصاف من نفسه .

الإقتار : التّضييق على الإنسان في الرزق .

الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٠٣

عن أبي جعفر عليه السّلام قال : أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله رجل ، فقال : يا رسول الله ! أَوْصِنِي . فكان فيما أوصاه أن قال : الْقَ أخاك بوجهٍ مُنْبَسِطٍ !

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مقدّمة

الدّروس الحوزويّة

و

الدّورات

للمرحلة الثّانويّة والجامعيّة

قبل الدّخول في طرح المواضيع المختلفة في العقائد والفقه والأخلاق وغيرها لا بدّ من تقديم مقدّمة كفهرسة عامّة لما يمكن أن يطرح في الدّروس الحوزويّة والدّروس الصّيفيّة للمرحلة الثّانويّة والجامعيّة .

إنّ الإنسان المؤمن في مسيره باتّجاه الله تعالى يحتاج إلى أمور لا بدّ من أن يأخذ بها ، وأمور أخرى لا بدّ له من الاستغناء عنها لأنّ الإنسان في طريقه يصادف كثيرًا من الأشياء ، وهو لا يعرف بالضّبط ما ينفعه وما يضرّه ، فلو تُرِكَ الإنسان وحرّيّته لاختار في أغلب الاختيارات الأشياء بناءً على أهواء النّفس وشهواتها ورغباتها لا على أساس العقل ، فما يشتهيه الإنسان هو ما يسعى للحصول عليه دون النّظر إلى ما يصحّ وما لا يصحّ ، فالشّهوة والهوى قد تشكّل للإنسان إلهًا يُعْبَد من دون الله تعالى ، فيسير على أساس الهوى في حبّه للأشياء أو بغضه لها ، وفي أخذه لها أو تركها .

يقول الله تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [1] .

---

[1] الفرقان : ٤٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إذن :

لا بدّ من أن يكون للإسلام دور في إعطاء المقاييس الصّحيحة الّتي يقيس الإنسان بها الأشياء ليأخذ الصّالح منها ويترك الطّالح ، ليأخذ منها ما يقرّبه إلى الله تعالى ويبتعد عمّا يبعده عنه عزّ وجلّ ، فإنّ هدف الإنسان في هذه الحياة الدّنيويّة القصيرة الفانية لا بدّ من أن يكون رضا الله سبحانه ، ورضا الله سبحانه لا يحصل إلاّ بما يبيّنه عزّ وجلّ للإنسان ، فمواضع الرّضا يحددّها الله تعالى بكلّ دقّة وتفصيل حتّى يستطيع الإنسان أن يكون في هذه المواضع ، ويحدّد الله تعالى هذه المواضع لطفًا منه بعباده حتّى لا يسيروا على أهوائهم كيفما يشاؤون .

سؤال : ولكن كيف نعرف هذه المواضع ؟

الجواب :

نعرف هذه المواضع عن طريق الرّجوع إلى مصدري الإسلام وهما :

١- القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو تبيان وتفصيل لكلّ شيء كما في الآية الكريمة :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

٢- روايات أهل البيت عليهم السّلام :

بدءاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وانتهاءً بالحجّة المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف ، بالإضافة إلى سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام ، فلقد وضّحوا سلام الله عليهم أجمعين كلّ ما نحتاج إليه في مسيرتنا باتجاه الله عزّ وجلّ .

النّتيجة :

على المؤمن أن يبحث في الكتاب الكريم والسّنّة الشّريفة ليصل إلى معرفة

---

[1] النحل : ٨٩ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المقاييس الصّحيحة والميزان الصّحيح لقيـــاس الأشياء من حوله سواء كانت هـــذه الأشياء منطلقةً من نفس الإنسان من قول أو فعل أو تفكير أم من خـــارج نفـــس الإنسان كالأشياء المادّيّة المحيطة بـــه ، فيعرف ما هو الصّحيح من التّفكير والقـــول والفعل ، وما هي الأشياء الّتي يصحّ أن يأخذها أو يتركها ، وليس من الصّحيح أن نقول إنّ الإنسان يأخذ كلّ شيء لأنّ هذه الأشياء موجودة حوله وفيها مـــا يضرّ آخرته قطعًا ، أو نقول إنّه يترك كلّ شيء ويسكن الجبال لأنّ في هذه الأشياء مـــا يقرّبه إلى الله تعالى قطعًا .

إذن :

على الإنسان أن يختار وفق ما حدّده الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم والـــسّـــنّة الشّريفة .

سؤال : وهل بيّنت الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة ذلك ؟

الجواب :

لا بدّ من البحث في الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة للوصول إلى ذلك لنعلم أوّلاً ما يجب علينا معرفته ثمّ ننطلق من العلم إلى العمل ، فلا بد أوّلاً من أن نعلم ما يجب القيام به ثمّ ثانيًا بعد المعرفة نعمل بما علمناه ، وأمّا إذا عمل الإنسان من غـــير علم فإنه سَيُفْسِد .

في الرّواية عن أبي عبدالله قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآلـــه : " **مـــن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممـــّا يصلح** " .

إذن :

العلم أوّلاً ثمّ العمل .

ســـؤال : كيف نعرف حسب المقاييس الإسلاميّة أنّ العلـــم مطلـــوب أوّلاً ثمّ العمل ؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجواب :

هذا شيء عقليّ بديهيّ حتّى في الأمور الدّنيويّة ، فقبل أن يعمل الإنسان أيّ عمل تجده يسعى لتحصيل العلم الدّنيويّ لكي يحصل على عمل ووظيفة معيّنة ، وكلّما تعلّم أكثر كانت وظيفته أعلى ومركزه أرقى ، فمن يحصل على الشّهادة الجامعيّة تجده مهندسًا أو طبيبًا مثلاً ، وهي وظائف يحترمها المجتمع ، وأمّا الّذي لا يحصل على الشّهادة المتوسّطة مثلاً فإنّك تجد النّاس ينظرون إليه بغير احترام ، طبعًا هذه النّظرة غير صحيحة بل محرّمة إذا كان فيها إهانة للمؤمن .

ونفس المقياس العقليّ يكون للعلم الّذي يؤدّي إلى مقام أكبر في الآخرة ، فكلّما تعلّم الإنسان العلوم الأخرويّة أكثر وعمل بها كان مقامه في الآخرة أعلى وأرقى ، وسعي الإنسان هنا لا بدّ أن يكون أكثر لأنّه المقام الباقي الخالد ، ويجب أن يبذل جهدًا أكبر لكي يحصل على المقام الأعلى يوم القيامة وأن لا يرضى بالعلم والعمل القليلين .

سؤال : إذا كان لا بدّ من وجود دليل في الإسلام لكلّ قول ، فما هو الدّليل الشّرعيّ على ما قيل سابقًا ؟

الجواب :

الدّليل لا بد من أن يكون من الكتاب والسّنّة ، وبمراجعتهما نجد الكثير من الآيات والرّوايات الّتي تحثّ على طلب العلم وتبيّن مقام العلماء والمتعلّمين .

منها في القرآن الكريم :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [١] .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٢] .

---

[١] المجادلة : ١١ .

[٢] فاطر : ٢٨ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [١] .

ومنها في الرّوايات الشّريفة :

رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : " **طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة** " [٢] .

فريضة : أي واجب .

رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : " **اطلبوا العلم من المهد إلى اللّحد** " [٣] .

اطلبوا : فعل أمر يدلّ ظاهرًا على الوجوب .

رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : " **اطلبوا العلم ولو بالصّين** " [٤] .

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : " **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنّة ، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا به ، وإنّه يستغفر لطالب العلم من في السّماء ومن في الأرض حتّى الحوت في البحر** ، . . . " [٥] .

إذن :

الإسلام يحثّ على طلب العلم ويبيّن المقام السّامي للعلماء .

سؤال : قلنا إنّ العلم واجب الطّلب على كلّ مسلم ومسلمة ، فما هي العلوم الّتي يريدها الإسلام ؟ وأيّ العلوم هي الّتي يحثّ عليها ؟ وكيف يمكن معرفتها ؟

---

[١] العنكبوت : ٤٣ .

[٢] بحار الأنوار للعلاّمة المجلسيّ ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٤ .

[٣] العلم والحكمة في الكتاب والسّنّة للشيخ محمّد الرّيشهريّ ص ٢٠٦ .

[٤] بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٥ .

[٥] الكافي للشّيخ الكلينيّ ج ١ ص ٣٤ ح ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجواب :

طالما أنّنا قلنا إنّه لا بـــدّ من الرّجوع إلى الكتـــاب الكريم والسّـــنّة الـــشّريفة لنعرف الجواب على كلّ سؤال فإنّنا نحتاج هنا إلى معرفة أيّ العلوم هي الّتي تقرّبنا إلى الله تعالى ويحثّ عليها الإسلام ويركّز عليها ، وبالتّالي تكون هي العلـــوم الّـــتي يريد منا معرفتها .

وبالرّجوع إلى القرآن الكريم والسّـــنّة الشّريفة نجد أنّهما يركّزان على قـــضية عقائد الإنسان حيث توجد آيـــات وروايات كثيرة تتحدّث عن الله سبحانه وعن صفاته ، منها :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [١] .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [٣] .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [٤] .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وراجع القرآن الكريم تجد عشرات الآيـــات الّتي تتحدّث عن الله وصفاته سبحانه .

وهناك آيات تتحدّث عن عدل الله فإنّه سبحانه :

﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [٥] .

وآيـــات تتحدّث عن الأنبيـــاء عليهم السّلام وما جرى عليهم مـــع أقوامهم ،

---

[١] الإخلاص : ١ .

[٢] النور : ٣٥ .

[٣] لقمان : ٢٨ .

[٤] البقرة : ٢٥٥ .

[٥] النساء : ٤٠ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وآيات تتحدّث عن يوم القيامة وتبيّن ما يجري على الإنسان بعد مماته حينما يُحْشَرُ إلى الجنّة أو إلى النّار – أعاذنا الله تعالى منها – ومواصفات الجنّة والنّار من النّعيم الدّائم أو العقاب المستمرّ وما يجري في النّار بين أهلها ، وغير ذلك من الأمور الّتي تمسّ عقائد الإنسان .

إذن :

عقائد الإنسان ركّز عليها القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة بآيات وروايات كثيرة .

إنّ العقائد تُفَرِّقُ بين الإنسان المؤمن والإنسان الكافر ، فيتبيّن من ذلك أهميّة معرفة العقائد ، وعلى رأس هذه العقائد أصول الدّين الخمسة ، وهي التّوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والمعاد ، وأصل الأصول هو التّوحيد ، والعقائد الأخرى هي فروع للتّوحيد ، ويقول العلماء إنّه لا يجوز تقليد المرجع في أصول الدّين ، بل لا بدّ أن يتوصّل إليها كلّ إنسان بنفسه بواسطة عقله .

سؤال : وهل هناك أشياء أخرى ركّز عليها الإسلام ؟

الجواب :

نعم ، ففي آيات تمثّل عشر القرآن الكريم تقريبًا بيّن الله تعالى الأحكام الشّرعيّة الفقهيّة فيها ، وهي ما تسمّى بـ (آيات الأحكام) ، وكذلك كثير من الرّوايات الشّريفة تبيّن تفاصيل الأحكام الشّرعيّة حتّى في الأمور الصّغيرة الّتي تمسّ حياة الإنسان حيث بيّن الأئمّة عليهم السّلام أحكامها ، مثل كيفيّة نوم الإنسان على جنبه الأيمن أو الأيسر ، وكيفيّة دخول الحمّام برجله اليسرى أو اليمنى ، فضلاً عن الأمور الكبيرة الّتي تمسّ حياة المجتمع والنّاس كإقامة الحدود وأحكام القصاص والدّيّات .

إن الأحكام الشّرعيّة تنظّم حياة الإنسان الفرديّة مع نفسه ، والاجتماعية مع

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النّاس والمجتمع في النّواحي السّياسيّة والاقتصاديّة وغيرها .

إذن :

لا بدّ من دراسة الأحكام الشّرعيّة الفقهيّة لأنّها تبيّن حدود حركة الإنسان ، وهي تُفَرِّقُ بين الإنسان المؤمن الملتزم بأحكام الله وبين المسلم الّذي لم يعرف من الإسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه ، فالمؤمن الملتزم هو الّذي إذا عرف أنّ هذا الأمر واجب عمل به ، وإذا عرف أنّ ذاك الأمر محرّم تركه ، وهو الّذي سيكون يوم القيامة في المقام الأعلى بسبب التزامه ، وكلّما ازداد التزامه كان ثوابه أكثر وحركته إلى الله تعالى أسرع ، والأحكام الشّرعيّة الفقهيّة تعبير عن حركة الإنسان العمليّة الخارجيّة .

سؤال : وهل هناك أمر آخر ركّز عليه الإسلام أيضًا ؟

الجواب :

نعم ، ففي آيات كثيرة تحدّث القرآن الكريم عن القلب وأمراض القلب ، وكذلك الرّوايات الشّريفة تحدّثت عن الأخلاق الإسلامية مثل التّواضع والزّهد وحبّ الآخرة ، ونصحت بالابتعاد عن الرّياء والعُجْب وحبّ الدنيا ، والأخلاق الإسلاميّة تعبير عن حركة الإنسان الدّاخلية النّفسانيّة الرّوحية القلبيّة ، فالنّفس تمثّل انعكاسات تفكير الإنسان وأقواله وأفعاله ، فكلّ ما يفكّر به الإنسان أو يقوله أو يفعله له انعكاس في النّفس ، وتفصيل ذلك يكون في محلّه إن شاء الله تعالى .

الخلاصة :

هناك علوم واجبة يجب على كلّ إنسان أن يتعلّمها ، والجهل بهذه العلوم لا يكون عذرًا للإنسان ، فعندما تقول الرواية : " **طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة** " ، فإنّ معنى ذلك أنّ هناك علومًا واجبة يجب أن يعرفها الإنسان لكي تكون حركته إلى الله تعالى صحيحة .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مثلاً علم الهندسة لا يجب على كلّ أحد أن يتعلّمه ، فهو من الواجبات الكفائيّة الّتي إذا تعلّمها البعض سقطت عن الباقي ، وأمّا بعض العلوم فهي من الواجبات العينيّة الّتي يجب على كلّ إنسان أن يتعلّمها لينجو بنفسه يوم القيامة .

إذن :

ممّا سبق يتبيّن أنّ العلوم الواجب تعلّمها على الإنسان هي :

١- علم العقائد :

وهي تَفْصِلُ بين الإنسان المؤمن والإنسان الكافر .

٢- علم الفقه أو الأحكام الشّرعيّة العمليّة :

وهي تَفْصِلُ بين المؤمن الملتزم والمؤمن غير الملتزم .

٣- علم الأخلاق :

وهي تفصل بين المؤمن الّذي يريد أن يصل إلى المقامات العليا والدّرجات الإيمانيّة العالية وغيره ، ويكون انعكاسًا في النّفس للعلمين السّابقين .

سؤال : وهل هناك أمور أخرى لا بدّ أن يعرفها المؤمن ؟

الجواب :

نعم ، هناك بعض الأمور الفرعيّة الّتي تساهم في ترسيخ العلوم الثّلاثة الواجبة ، فكلّ ما يكون فرعًا للأفهار الثّلاثة ينبغي على المؤمن معرفته ليساهم في توسيع هذه الأفهار ومدّها بالزّخم ، منها :

١- معرفة المفاهيم الإسلاميّة الّتي يريد الإسلام طرحها والّتي تبيّنها الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة .

٢- معرفة سيرة أهل البيت عليهم السّلام ، وهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وفاطمة الزّهراء عليها السّلام والأئمّة الأطهار سلام الله عليهم وخاصّة الحجّة المنتظَر المهديّ عجّل الله فرجه الشريف ، والّذين هم القدوة للمؤمن ليعرف كيف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خدموا الإسلام ، وأن نحاول أن تكون حياتنا كحياتهم .

ونقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السّلام :

" **اللهم اجعل محياي محيا محمّد وآل محمد ومماتي محمّد وآل محمد** " [١] .

ونأخذ من حياتهم الأحكام الشّرعيّة والأخلاق الإسلاميّة والمفاهيم الإسلاميّة ، بل نأخذ منهم كلّ أمور الدّين من صغيرة أو كبيرة .

٣- معرفة شيء من تفسير القرآن الكريم لأنّه يعطي فهمًا للآيات القرآنيّة الّتي نقرؤها ولا سيّما في الصّلاة ، فإنّ في القرآن الكريم علومًا كثيرة .

٤- نظرة الإنسان إلى الدّنيا والآخرة ، وقد طرحتها كثير من الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة .

الخلاصة :

إنّ كلّ ما يساهم من العلوم في العلوم الثّلاثة الأساسيّة ينبغي للمؤمن أن يعرفها .

العمل نتيجة العلم :

إنّ النّقطة المهمّة هي أنّ الإنسان بعد تعلّم كلّ العلوم الّتي تمّ ذكرها سابقًا لا بدّ أن يطبّق ما تعلّمه ليصدق عليه عنوان (المؤمن الحقيقيّ) ؛ لأنّ مجرد وجود المعلومات في الذّهن دون انتقالها إلى القلب يكون بلا قيمة ، فلا بدّ من أن يكتبها الإنسان بقلم العقل على لوح القلب ، إنّ مجرّد العلم بالشّيء لا يعطي قيمة لهذا الشّيء ، وإنّما يكون قيمة العلم بالعمل المترتّب عليه ، فما قيمة أن يعرف الإنسان العقائد والأحكام الشّرعيّة والأخلاق الإسلاميّة ولكن لا يقوم بتطبيقها والعمل بها ؟

---

[١] مصباح المتهجّد للشّيخ الطوسيّ ص ٧٧٥ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : " **العلم مقرون إلى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه** " [١] .

أي فإن أجاب العملُ العلمَ وإلاّ أي فإن لم يُجِبْهُ العملُ ارتحل العلم .

إنّ قيمة ما يدرسه الإنسان من العلوم تكون بقيمة ما يطبّقه منها ، فقيمة العمل تبيّن قيمة العلم ، فلينظر الإنسان إلى عمله ليعرف ما يعلمه وما يعرفه عن الإسلام ، فمقياس الإنسان لعلمه هو مقدار عمله ، فمقدار ما يعمله الإنسان يبيّن مقدار علمه ، فالمستشرقون – مثلاً – كانوا يدرسون الإسلام ويعرفون عنه أمورًا أكثر منّا ، ولكن ما قيمة علمهم وقد بقوا على كفرهم ؟!

لقد عرفوا أنّ الإسلام يدعو إلى التّوحيد ، ولكن مع ذلك بقوا على كفرهم وشركهم ، بل أكثر من ذلك فإنّهم كتبوا عن الإسلام ولكن قدّموه بصورة مشوّهة ودسّوا في كتبهم خلاف ما يطرحه الإسلام ، وكلّ ذلك تمّ منهم بتعمّد وهم يعلمون أنّ الإسلام لم يطرحه ، اقرأ ما كتبه المستشرقون عن حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ اقرأ ما كتبه المتأثّرون بالمستشرقين لتجد التّطابق بينهما ولتعرف كيف انتقل ذلك إلى كتب المسلمين ، منها على سبيل المثال حيثيّات زواج رسول الله صلّى الله عليه وآله من زينب بنت جحش .

نظرة إلى حياتنا اليوم :

اليوم نحن نعيش مقاييس دنيويّة كافرة لما يوجد حولنا من أمور ، لننظر إلى أنفسنا كيف نقيِّم هذه الدنيا ؟ وكيف ننظر إلى ما يوجد فيها من أشياء ؟

أين نحن من حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن حياة أمير المؤمنين عليه السّلام ومن حياة فاطمة الزّهراء عليها السّلام ؟

أين نحن من رسول الله صلّى الله عليه وآله الّذي كان يركب دابّته من غير

---

[١] الكافي ج ١ ص ٤٤ ح ٢ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سرج ولننظر إلى سيّاراتنا ؟

أين نحن من أمير المؤمنين عليه السّلام الّذي لم يكن في بيته إلاّ فرش من الصّوف ينام عليه في اللّيل ويجلس عليه في النّهار ، وقارن بين ذلك وبين بيوتنا اليوم ؟

أين نحن من سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام الّتي تقول بما معناه : " **خير للمرأة أن لا ترى رَجُلاً ولا يراها رَجُلٌ** " [1] ، وانظر اليوم إلى نساء المسلمين وبناتهم ؟

قارن بين حياتنا وحياتهم لترى كيف يعيش المسلمون اليوم المقاييس الدّنيويّة الكافرة الّتي يساهم فيها وسائل الإعلام ويحاولون نشرها بين المؤمنين سواء في كيفيّة اختيار السّيّارة أو كيفيّة تزيين البيت أو في معيشتهم اليوميّة وتربية أولادهم وقضاء أوقاتهم حتّى وصلنا إلى مرحلة يحاول فيها المسلم الانتهاء من الصّلاة بسرعة ، وذلك بسبب ضيق الوقت عنده وانشغاله الكثير الّذي يصبّ كلّه في الأمور الدّنيويّة ، فتفكير المسلمين اليوم تفكير دنيويّ وأقوالهم دنيويّة وأفعالهم دنيويّة وطريقة حياتهم دنيويّة وكأنّه لا وجود للآخرة ، فكلّ ما حولنا يربطنا بالدّنيا أكثر ، وصار قيمة الإنسان بقيمة ما يملك من مال لا بما يملك من إيمان ، فصاحب المال الكثير هو المحترم وإن كان فاسقًا شاربًا للخمر ، وصار الفقير مُحْتَقَرًا حتّى لو كان وليًّا من أولياء الله تعالى ، فلقد انعكست المقاييس ، أليست هذه المقاييس كافرة وإن كان هناك من ينكر ذلك ويقول إنّ حياتنا قائمة على الإسلام ؟

إنّ المسلمين اليوم يتعاملون مع الدّنيا كأنّهم خالدون فيها ، وهذا سيأتي في محلّه إذا أردنا أن نتناول موضوع (علاقة المؤمن بالدّنيا والآخرة) .

---

[1] بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٤ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإســـلام يُؤْخـــَذُ ككلّ ولا يُبَعَّـــض :

إنّ المؤمن يأخذ من الإســـلام كلّه ولا يأخذ من الإسلام ما يناسب أهواءه أو يترك ما يخالف مصلحته الخاصّة ، فنحن – مع الأسف – قد نأخذ من الدّين مـــا نبرّر به أعمالنا ، وأمّا إذا جاءت مســـألة خلاف مبتغانا قد نرفضها ونبرّر رفـــضنا بمختلف التّبريرات .

المؤمن الّذي يشتري سيّارة فخمة ماذا يقول ؟

يقول إنّ الله تعالى يحبّ أن تظهر نعمته على عبده .

وإذا زخرف بيته ماذا يقول ؟

يقول إنّ الله جميل يحب الجمال .

وإذا أسرف وبذّر ماذا يقول ؟

يقول إنّ الله يحبّ الكريم الّذي يوسّع على أهله وأولاده .

ترى هذا المؤمن يأخذ من الدّين مـــا يوافق رغباته ، يأخذ بعض الأمور الّتي في الحقيقـــة لا تمثّل اتجاهًا في الإســـلام ، وإنّما اتّجاه الإسلام يكون على خـــلاف الإســـراف والتّبذير ، وخلاف الحيـــاة المرفّهة المزيّنة ، وهذه التّبريرات وســـاوس شيطانيّة ونفثات إبليسيّة ؛ لأنّ الإنسان لا بدّ من أن يأخذ من الدّنيا ما له قيمـــة في الآخـــرة فقط ، وخلاف ذلك فإنّ ما يعمله الإنسان إنّما يكون عبثًا ولغوًا لا قيمة له .

أين هـــذا المسلم من الزّهد الّذي يدعو إليه الإسلام والزّهـــد مـــن أســـس الأخلاق ؟

أين هو من حياة أهل البيت عليهم السّلام ؟

أين هو من قضاء حوائج المؤمنين والفقـــراء والّذي يمثّل العلاقة القويّـــة بـــين المؤمنين ؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قـــال : **" من كَفَى ضريرًا حاجة من حوائج الدّنيا ومشى فيها حتّى يقضي الله له حاجته أعطاه الله براءةً من النّفاق وبراءةً مـــن النّار ، وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدّنيا ، ولا يزال يخوض في رحمة الله عـــزّ وجلّ حتّى يرجع "** [١] .

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : **" إن لله عبادًا من خلقه في أرضه يُفْزَعُ إليهم في حوائج الدّنيا والآخرة ، أولئك هم المؤمنون حقًّا ، آمنون يوم القيامـــة ، ألا وإنّ أحبّ المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه ، ومن أعـــان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين "** [٢] .

عن أبي جعفر عليه السّلام قال : **" أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام : إنّ من عبادي من يتقرّب إليّ بالحسنة فَأُحَكِّمُهُ الجنّة . قال : وما تلك الحسنة ؟ قـــال : يمشي في حاجة مؤمن "** [٣] .

ألا ندرك أنـــّنا بإسرافنا وتبذيرنا إنّما نأخذ حقوق أشخاص آخرين يعيـــشون معنا على هذه الأرض ؟

إنّ من يملك المال فإنّ الفقير شريكه فيه لأنّ المال في الحقيقة ليس ملكنا بل هو ملك لله تعالى ، والله عزّ وجلّ يحدِّد مصارف هذه الأموال .

في الرّواية عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنـــّه قال : **" لا تزول قدم عبـــد يـــوم القيامة حتّى يُسْأَلَ عن أربعة : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعـــن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبّنا أهل البيت "** [٤] .

---

[١] بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٨٨ ح ١ .

[٢] المصدر السّابق ج ٧٥ ص ٢٦١ ح ١٥٨ .

[٣] المصدر السّابق ج ١٣ ص ٣٥٦ ح ٥٦ .

[٤] المصدر السّابق ج ٢٧ ص ٣١١ ح ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنّ المرء يُسْأَلُ عن كلّ فلس يصرفه والحساب طويل ، والإنفاق ثوابه عظيم ، يقول الله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [١] .

عقـــائد الإنسان عبارة عن شجـــرة :

إنّ كلّ ما يفعله الإنسان إنّما يكون نتيجة معتقداته ، فأنت إذا اعتقدت بأهمّيّة عمل معيّن فإنّك تقوم بـــه ، فالعقائد عبـــارة عن شجرة لها ثمار ، فـــإن كانـــت المعتقدات صحيحة كانت الثّمار جيّـــدة ، وإذا كانت العقائد فاسدة فإنّ ثمارهـــا تكون فاسدة ، فالأعمال انعكاس لما تعتقده نفس الإنسان ، لذلك يأتي دور علـــم الأخلاق ليربّي الإنسان نفسه تربية صحيحة ، وعلى أساس هذه التّربيـــة نجـــد أنّ أعمال المؤمن كلّها تصبّ في اتّجاه واحد وهو اتّجاه الله تعالى .

في دعاء كميل بن زياد يقول أمير المؤمنين عليه الـــسّلام : " **أســـألك بحقّـــك وقدســـك ، وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعـــل أوقاتي من اللّيل والنّهار بـــذكرك معمورة وبخدمتك موصولة وأعمالي عندك مقبولة حتّى تكون أعمالي وأورادي كلّها وردًا واحدًا** " [٢] .

إنّ حركة الإنسان المؤمن تكون باتّجاه الله عزّ وجلّ ، اتّجاه واحد لا يمنة فيـــه ولا يسرة ؛ لأنّ يمينه ويساره يكونان خروجًا عن الصّراط المستقيم .

إنّ الأحكام الشّرعيّة تمثّل حدودًا للإنسان ، فمن يتعدّاها فإنّما يكون قد خرج من ربقة الإسلام ، صحيح أنّ المؤمن ليس معصومًا ويرتكب الأخطاء ولكنّه يرجع مباشرةً إلى الطّريق بواسطة التّوبة الصّادقة ، ولا يصرّ على فعله الخاطئ ، ولا يـــبرّر معاصيه وأعماله الخاطئة .

---

[١] آل عمران : ٩٢ .

[٢] إقبال الأعمال للسيّد ابن طاووس ج ٣ ص ٣٣٦ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنّ عقائد الإسلام تمثّل شجرة إيمانيّة أصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ، وجذور هذه الشّجرة متأصّلة في قلب الإنسان المؤمن ولا يمكن أن يتركها بسهولة كجذور الشّجرة الضّاربة في أعماق الأرض الّتي لا يمكن إزالتها بسهولة ، فلا بدّ لقلع هذه الشّجرة من قوّة كبيرة حتّى يمكن اجتثاثها ، وهذه العقائد تولّد الثّمار الجيّدة الّتي هي عبارة عن أعمال الإنسان المؤمن الّتي لا فساد فيها ، وهي كلّها صالحة ، وإذا وجدت ثمرة فاسدة فإنّها نتيجة عقيدة فاسدة في نفس الإنسان ، فيكون عند هذا المؤمن اعتقاد فاسد لا بدّ من إصلاحه .

إنّ الإسلام لا يؤمن بإصلاح الشّيء الخارجيّ فقط بل يُصْلِحُ الأشياء انطلاقًا من أعماق نفس الإنسان ، فالعقيدة الفاسدة لها عدّة مظاهر فاسدة ، فإذا أصلحت المظهر فإنّ العقيدة باقية وسيكون لها مظهر فاسد آخر ، والإنسان قد يقوم بأشياء كثيرة صالحة ولكن من دون أن تكون منطلقة من النّفس ، فلا تكون لها قيمة كالإنسان الكافر الّذي يقوم بالأعمال الصالحة الخيِّرة ظاهرًا ولكن ما قيمتها له وهو لا يعتقد بوجود الله ولا يتقرّب إليه تعالى ؟

وتكون الأعمال منطلقة من حبّه لرغباته ، لذلك تجد عنده أمورًا أخرى غير صالحة كشرب الخمر – مثلاً – لأنّ أعماله لم تكن منطلقة من عقيدة راسخة ، وإنّما هي أمور ظاهريّة شهويّة ، ورغباته هي الّتي تُسَيِّرُهُ ، لذلك تجد الاستعمار يقوم بنهب الشّعوب وفي الوقت نفسه يجعل منظّمات لحقوق الإنسان ، فأصل عقيدتهم النّهب والسّلب وهذه المنظّمات ظاهريّة لا قيمة لها .

يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1] .

الخلاصـــة :

إنّ الإسلام أعطى مقاييس للإنسان لِيُقَـــيِّمَ بها الأشياء ، ومواضـــع رضـــا الله تعالى حدّدها سبحانه ، ويمكن معرفة هذه المواضع عن طريق الرّجوع إلى الكتـــاب الكريم والسّـــنّة الشّريفة ، وحثّ الإسلام على طلب العلم وركّز في نفس الوقـــت على أهمّيّة العمل لا مجرّد العـــلم لأنّ العمل انعكاس للعلم ، وتوجد هناك علـــوم واجبة يجب على كلّ إنســـان أن يتعلّمها ، وهي الأحكام العقائديّـــة والأحكـــام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة ، وهناك أمور متفرّعة على هذه العلوم الثّلاثة .

ثمّ ألقينا نظرة على حياتنا اليوم وكيف أنّنا بعيدون عن الإســـلام في تفكيرنـــا وأعمالنا ، وقلنا إنّ الإسلام لا بدّ من أن يُؤْخَذَ ككلّ ولا يُبَعَّضُ ، ثمّ أشرنا إلى أنّ العقائد تمثّل شجرة في نفس الإنسان ، وتكون ثمارها هي الأعمال الّتي يقوم بهـــا ، وكلّما صلحت الشّجرة صلحت الثّمار .

وفي الختـــام أسأل الله تعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لما فيه مرضاته ســـبحانه ، وأن يحشرنا جميعًا مع محمّد وآل محمّد في درجتهم ، وأن يجعلنا من أنصار الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

١٤١٤ هـــ - ١٩٩٤ م

---

[1] إبراهيم : ٢٤ – ٢٦ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com